

التعليم العالي الفرنسي في الجزائر بين الخصوصية والتُميز 1940-1870

الاستاذ: العكروت خميلي

جامعة الجزائر 2

lakroutkhimili16@gmail.com

ملخص :

يتناول هذا المقال ، التعليم العالي الفرنسي في الجزائر بين (1879-1962) من حيث النشأة والتطور ، ويطرح اشكالية الخصوصية والتُميز بينه وبين التعليم العالي الفرنسي المتروبوليتان ، فقد ظهرت عليه بعض المميزات المرتبطة من جهة بالبيئة الشمال - افريقية المنشأ فيها ومن جهة أخرى بالظاهرة الاستعمارية يخلص في النهاية إلى ابراز اهم هذه الخصائص والمميزات .

الكلمات الدالة التعليم العالي المدارس التحضيرية العليا ... الجامعة الاستعمار .. الخصائص الخصوصية .. التُميز

Résumé :

Cet article évoque l'enseignement supérieur en Algérie de sa création et son évolution et relance une problématique concernant sa spécifié et son caractère par rapport a l'enseignement supérieur métropolitain . cependant il est apparu de son état des spésifités accordés a l'entourage d'un origine nord Africains , et d'autre part à la phénomène coloniale , enfin il conclut a définir ces spécifiés et caractères les plus importants.

مقدمة:

ركزَ الدراسون لمنظومة التعليم الفرنسي في الجزائر في العهد الاستعماري، على مراحل التعليم الأولى. الابتدائية، و الثانوية، وتتبعوا نشأته وتطوره سواء كان رسمياً أو حراً. و سلبت أغلبهم الضوء على السياسة التي سلكها الفرنسيون في إرساء هذا التعليم وحظ الجزائري منه، وكذلك الأهداف المرجوة منه سواء تلك المرتبطة بالضرورة و

الاحتياجات المحلية للمستعمرة أو تلك المتعلقة بمستقبل الاستعمار نفسه، ومن ثم رؤيته وتصوره لمستقبل الجزائريين الأهالي. فقد أبرز هؤلاء الباحثين أهم المراحل التي مر بها تطور هذا التعليم، وكذلك أهم خصائصه المميزة.

أما التعليم العالي في العهد الاستعماري فقد ظل موضوعا شحّت فيه كتابات الباحثين من الطرفين ولا ندري أكان ذلك لقلة المادة العلمية التي تناولت الموضوع؟، أو لقلة فئة الجزائريين التي التحقت بهذا التعليم العالي سواء هنا في الجزائر أو في المتروبول الفرنسي في تلك المرحلة خاصة وأن مراحل التعليم الأخرى لا تؤدي بأبناء الأهالي إلا قلة نادرة نحو هذا المستوى من التعليم، الذي دعت ضرورات كثيرة إلى إرسائه، أهمها احتياجات الاستعمار نفسه وسياساته خاصة الاستيطان الأوروبي، وضرورة توفير الرعاية الصحية للمستوطنين و أفراد الجيش الفرنسي، ومعرفة طبيعة الأمراض المفتشية في شمال إفريقيا.

تم إنشاء مدرسة تحضيرية للطب سنة 1857 م في ظل وجود ثانوية واحدة في الجزائر، ثم توسع الاهتمام إلى تخصصات أخرى، مثل الحقوق، والعلوم، والآداب، التي أنشأت لها مدارس تحضيرية عليا أيضا سنة 1879م، والتي تعتبر النواة الحقيقية للجامعة الفرنسية في الجزائر والعمود الفقري للتعليم العالي الفرنسي في الجزائر، ثم تم استحداث عدد كبير من المعاهد الجامعية، وكذلك بعض المعاهد المتخصصة خارج الجامعة، مثل المعاهد الفلاحية، ومدارس الفنون و التجارة، وعليه فإن السؤال الأساسي الذي يواجهنا، هل جاء التعليم العالي الفرنسي في المنشأ في الجزائر مدمجا موقفا لنظيره في الميتربول الفرنسي؟ أم له ما يميزه، في مختلف جوانبه التنظيمية، و العلمية و نوعية طلابه؟ خاصة وأنه وضع ليعيش في بيئة تختلف عن البيئة الفرنسية في الطبيعة و المناخ و المجتمع، و تختلف في مكوناتها الاجتماعية ونظمها واهتماماتها؟

1. نشأة وتطور التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1962م):

يقصد بالتعليم العالي- حسب الموسوعة العربية العالمية- ذلك التعليم الذي يتم داخل الكليات والمعاهد الجامعية بعد الحصول على الشهادة الثانوية وتختلف مدة الدراسة بها وهو آخر مراحل التعليم.¹ أما منظمة اليونسكو فإنها تعرفه: على أنه كل أنواع الدراسات و التكوين أو التكوين الموجه الذي يتم بعد المرحلة الثانوية على مستوى

¹ تقدير اليونسكو: 1998، ص1.

مؤسسة جامعية أو مؤسسات أخرى معترف بها كمؤسسات التعليم العالي، من قبل السلطات الرسمية للدولة.

وتنحصر وظائفه بشكل عام في البحث العلمي و إعداد الكفاءات البشرية المطلوبة ونشر العلوم وتثقيف المجتمع من خلال النشرات والدوريات والمقالات العلمية. ولعل نشأة التعليم العالي الفرنسي في الجزائر لا تتوافق مع هذه التعريفات الحديثة نسبيا وذلك لطبيعة المراحل التي مر بها هذا التعليم، والتي ارتبطت بالاستعمار الفرنسي في الجزائر الذي أوجد أنواعا من التعليم لا تتوافق مع تلك المولودة في فرنسا نفسها، لتخوف الإدارة الفرنسية من احتمال ميلاد نخبة بعقلية جزائرية لم يقدم أحدا ممن تحدثوا عنها حدودا لتعرفها، فقد تحدثوا عن تكوين أشخاص في الجزائر تكوينا تاما. بعيدا عن فرنسا لا يصبحون فرنسيين تماما، بل جزائريين، و إنها خطوة لنشأة مجتمع مختلف عن فرنسا¹، وفي ذلك خطر من سوء فهمها بالنسبة للمعمرين المولودين بالجزائر وليس الجزائريين الأهالي.

ولقد ظل هذا الحذر الصفة المميزة للقائمين علي التعليم عامة وخاصة التعليم العالي، وذلك ما يفسر مراحل تطور التعاليم العالي الفرنسي في الجزائر في ظل الحاجة الماسة لبعض التخصصات التي باتت ضرورية لتثبيت اركان الاستعمار كالتب والطب والتعليم وتعلم اللغات ودراسة الحقوق والتشريع وغيرها، وقد امكننا تمييز مراحل تطور التعليم العالي الفرنسي المنشأ في الجزائر كما يلي كما يلي:

المرحلة الأولى: التعليم العالي التحضيري (1879-1909م)

وتبدأ هذه المرحلة منذ تأسيس المدرسة التحضيرية العليا للطب والصيدلية سنة 1857² وذلك نتيجة الإستيطان الأوروبي المتزايد، وحاجة السكان المعمرين و أفراد الجيش للرعاية الصحية، ورهان الإدارة الاستعمارية علي الطب، الذي اعتبرته وسيلة ضرورية لتغلغل في البيئة الجزائرية، ووسيلة فعالة لإحداث التقارب للتقرب مع السكان الاهالي.

¹ Charles Tailliar: université d'Alger, collection de centenaire De l'Alger (1830-

1930)chapitre xiv, histoire historieur de l'Algerie.p365.

² أنشئت هذه المدرسة وفق قانون مرسوم 3 أوت 1857م، أنظر:

Jean Méliá: L'époque intellectuelle de l'Algérie, histoire de l'université d'Alger, la maison de livre, alger,p39.

ونتيجة للتقارير الملحة من الإدارة الاستعمارية العاملة في الجزائر، وكذلك الأطباء العاملين في الجزائر من المدنيين والعسكريين، وكذلك تقارير بعثات الاستقصاء حول الأوضاع الصحية في الجزائر ولدت فكرة إنشاء مدرسة تحضيرية للطب و الصيدلية في الجزائر، تحمل الصفة المدينة بعد فشل محاولات العسكريين في إنشاء مدرسة للطب العسكري، و المحافظة على بقائها طويلا، رغم مجهودات الطبيب و الجراح الرئيسيين للجيش الفرنسي في الجزائر بأولي وبوران.¹

فقد ظلت المدرسة العسكرية للطب في شكل مستشفى عسكري للتعليم مزود بطاقم من الأساتذة متكون من ثلاثة أطباء وأربعة جراحين وثلاثة صيادلة، ومكتبة تضم حوالي 800 مرجع طبي، وحديقة نباتات طبية إلا أنها تلاشت سنة 1838 م.²

ولعل أهم التقارير التي أملت بإنشاء مدرسة مدنية للطب هي تلك التي رفعها دوفال دوغراس، الذي ترأس أهم بعثة لاستطلاع الأوضاع الصحية في الجزائر سنة 1848 م و انتهى إلى الإلحاح في توفير الأطباء المدنيين و الصيادلة لمحاربة امراض المناطق الساخنة و الأمراض المناخية في الجزائر.³

حركت هذه الحاجة الطبيب الرئيسي للمستشفى المدني الطبيب ترولي، الذي تقدم بطلب رسمي إلى السلطات المركزية في المتروبول بإنشاء مدرسة تحضيرية للطب و الصيدلة في الجزائر. وقد تبنت وايدت الجمعية الطبية في الجزائر مقترحه سنة 1849 م. في ظل رفض عميد أكاديمية الجزائر لهذا الطلب بحجة أولوية المدارس الابتدائية، لكن تغير القيادة السياسية في تلك الفترة بعودة الملكية ونهاية الجمهورية الثانية، ويدعم من وزير الحربية صدور قانون إنشاء مدرسة قانون يتضمن انشاء مدرسة تحضيرية للطب و الصيدلة في الجزائر في 04 أوت 1857.⁴

يعتبر قانون 04 أوت 1857 الأول منذ نوعه في المستعمرة الجزائر أسس لميلاد أول مؤسسة رسمية للتعليم العالي في شكل مدرسة تحضيرية للطب و الصيدلية وقد حددت مواد هذا القانون طبقة وطبيعة هذه المدرسة إذ وضعت تحت الوصاية العلمية لكلية

¹ université d'Alger, Cinquantenaire, (1909-1959) Alger, 1959, p15.

² Université d'Alger cinq, op.cit. P16

³ Ibid, p19.

⁴ Jean Méliá ; L'époque intellectuelle de l'Algérie, histoire de l'université d'Alger

الطب و الصيدلية في منبولى التي تملك حق منح الشهادات العلمية النهائية لطلاب المدرسة.

كانت الوظيفة المعلنة لهذه المدرسة هي تكوين مطبقين في الصحة استجابة للحاجة الملحة ويبدو منذ خلال التصريحات الحماسية للقادة السياسيين ومسؤولي التعليم أن الهدف منها يتجاوز مسألة الحاجة هذه فقد تم النظر الى المهمة الطبية على أنها وسيلة فعالة للتغلغل الاستعماري وكذلك للتقرب من الأهالي فهي وسيلة لاغناً عنها أكد عليها المدراء المتعاقبين على رأسها مثل الدكتور تسية ، ودي سالفاندى ، وحتى دي لاكروا عميد الأكاديمية أصبح من المتحمسين بعدما كان من المعارضين¹.

ولقد تضمنت المادة من مرسوم 04 أوت 1857 تشجيعاً للأهالي للانضمام الى المدرسة وفق شهادة تمنحها الأكاديمية في الجزائر تثبت قدرة المترشح على مزاولة دراسة الطب وقد تدعم هذا التشجيع بمنحهم 12 منحة سنة 1866 م لدعم تدرسيهم. إلا أن اقبالهم ظل ضعيفاً لم يتجاوز 5 طلاب حتي سنة 1872 م ونذكر الاحصائيات أنه بين (1887 - 1905) لم يلحق بهذه المدرسة سوى 35 طالبا من الأهالي تخرج منهم 03 صيادلة من الدرجة الأولى و12 ضابط صحة و6 أطباء و02 صيادلة من الدرجة الثانية ولم يتمكن البقية من مواصلة الدراسة لتوقفهم الطوع أو لاتفاقهم من طرف الإدارة .

و من جهة أخرى ؛ تولت الجمعيات العلمية والدارسين المهتمين بالعمران والتاريخ والمجتمع من العسكريين والهواة عملية الاستكشاف العلمي للجزائر ، ونتيجة للنتائج القيمة لجهود هؤلاء تبت الادارة الاستعمارية فكرة إنشاء مدارس تحضيرية مكتملة لعمل مدرسة الطب في مجالات الحقوق والآداب والعلوم .

¹ صرح دي لاكروا بمناسبة افتتاح هذه المدرسة يوم 10 نوفمبر 1859 قائلاً: تتميز مدرسة الجزائر على

نظراتها في فرنسا ، بتركيبتها البشرية فالي جانب الفرنسيين يجلس طلاب من كل الجنسيات المشكلة

للمجتمع الجزائري سيقتنع العرب أن تعلم الطب سيتمكن أفراد من بلديهم من تنويرهم بطرق علمية

بدل لف رؤوسهم بلفة من القماش ; Luis Paoli :L'enseignement supérieur a Alger 1905

extrait de la revue africaine 1906 .Bu1959

ولقد كانت حاجة الادارة الاستعمارية ، لتطوير المنظومة التشريعية الخاصة بالأهالي
 ضرورة خاصة مع قيام الجمهورية الثالثة وقد ترجم ذلك في قانون المالية لسنة 1872م
 ، بتسجيل غلاف مالي قدره 50.00 فرنك لإنشاء مدرسة للحقوق¹.

ولم تمض سنوات كثيرة حتي كشف عميد أكاديمية الجزائر السيد دي سالف يوم
 29 نوفمبر 1877 بمناسبة الدخول الجامعي عند وجود مشروع كبير في الأفق يتعلق
 بخلق معاهد أدبية وعلمية "فضاء علمي متكامل بويضة ملقحة لجامعة"²، وقد قدر
 تكلفة هذه المدارس بـ 300.000 فرنك تقطع 20000 من الجزائر ، 30000 من مدينة
 الجزائر ، و 30.000 من مقاطعة الجزائر و 20.000 لكل من وهران وقسنطينة³.

وفي النهاية فقد كان علي السلطات العليا الاستعمارية تقدير رفض أو قبول المشاريع
 المقترحة لإنشاء مدارس حضرية أخرى ، جاء بها المتحمسون لفكرة توسع التعليم العالي
 لخصت هذه المشاريع في ما يلي⁴:

-مشروع بول بارت الأول في 12 ديسمبر 1877م

-مشروع بولبارت الثاني في 08 جويلية 1878م

-مشروع دي روز 05 جويلية 1879م

-مشروع باردو في 08 فيفري 1878م

وقد جاءت هذه المشاريع في وقت أصبح للتعليم العالي مبررات وجود كثيرة وقوية في
 ظل تعاظم الجالية الأوروبية في الجزائر ، وإنشاء المزيد من الثانويات إذ بلغ مجموع
 التلاميذ الثانويين 3142 سنة 1878م وثانوية باب الوادي وحدها أصبحت تضم ما
 يزيد عن 1000 تلميذ .

وقد شكلت مخاوف هجرة هؤلاء لتكملة الدراسة في المتروبول الفرنسي مع امكانية
 عدم عودتهم إحدى الدوافع القوية لإنشاء تعليم عال محلي في الجزائر دعما لسياسة
 الاستيطان ولقد اعتمد العالم والسياسي بول بارت (1833-1886) على هذا المبرر لتمرير
 مشروعه أما غرفة البرلمان بعرضه لمشروع لمدارس تحضيرية عليا يوم 17 ديسمبر

¹ Luis Paoli :L'enseignement supérieur a Alger 1905 ; extrait de la revue africaine
 1906 .Bu1959

² Méliar op cit p39.

³ Méliar : op cit p4.

⁴ Ibid p4

1877م ،وقد اجتهد في محاولة إقناع أعضاء الغرفة بهذا المشروع لكن الحكومة رفضته بحجة أنه من اختصاصها فقط بحث هذه المواضيع .

امن بول بارت بجدوي مشروعه ولم ييأس ،وقدم بمشروع قانون آخر أمام غرف النواب يوم 08 فيفري 1878م وقد توافق مع مشروع حكومي طرحه وزير التعليم العام والثقافة والفنون السيد باردو يوم 08 فيفري 1878م¹.

عملت الغرفة البرلمانية على التوفيق بين مشروع الحكومة ومشروع بول بارت بتعين لجنة لدراسة المشروعين عين فيها بول بارت مقرراً كمكافئة لمجهوداته من الحكومة خلص يوم 03 جوان 1878م .إلى أن المشروعان متوافقان لا يختلفان إلا في بعض الجزئيات وفي جلسة الغرفة البرلمانية ليوم 23/09/1877م ،دافع بول بارت عن هذه المدارس المقترحة وأراد لها أن تكون مستقلة وبعيدة عن الضغوطات السياسية² قائلا "أنه في العلم نفسه يتم تكوين العقول لا في المؤسسات التي نود انشاءها ".محاولا الاجابة عن الاسئلة الكثيرة التي طرحها نواب الغرفة من مؤيدين ومعارضين و المتسائليناما عن شكلها او جدواها متفقين جميعا على أن تجد تطبيقات للعلوم لعلى اتليينة الشمال-افريقية وأن تستجيب لاحتياجات المستعمرة .

وبعد المصادقة على المشروع في الغرفة البرلمانية بالصيغة التي جاء بها مشروع الحكومة تم رفع الي مجلس السينا الذي تشكلت لجنة منه لفحص المشروع برئاسة السيد دي روزي الذي وضع تقريره يوم 05 جويلية 1879م وصادقت عليه الغرفة العليا يوم 20 ديسمبر 1879م³ في شكل قانون ينشأ مدارس تحضيرية للعلوم ، الحقوق والاداب في الجزائر. قانون 20 ديسمبر 1879م (خصائص التعلم العالي التحضري في الجزائر) :

إن عبارة تحضيرته في تسمية المدارس تشير الى صيغة خاصة وحذرة ،ميزت المدارسالتحضيرية .فهي ليست معاهد أو كليات تنطبق عليها القوانين الفرنسية في مجال التعليم العالي ،وقد جاء قانون 20ديسمبر 1879م ليعبر عن مخاوف الحكومة

¹ Université d'Alger .op .cit p24.

² .Taillart .op .cit p365.

³ Paoli ; Ibid p421.

وتموجها ايضا ، فهذه المدارس تمنح المزيد من الاستقلالية للكلون ، وتمهد لمجتمع مستقل عن فرنسا

وهو أبرز مخاوف الحكومة ، فلذلك صفة تحضرته تجعلها دائما تحت وصاية الجامعة الفرنسية . فهي التي تمنح الشهادات النهائية والرتب العلمية وبالتالي ضمان التبعية والهزيمة و المراقبة الدائمة ، وحسب بول بارت فان انشاء هذه المدارس بهذا الشكل هو فعل مرحلي متعلق بمرحلة انتقالية . اقتضت الضرورة انشاؤها بهذا الشكل وسيتكفل المستقبل بإمكانية تطويرها¹ .

وإن طبقة هذه المدارس العليا العليا القانونية وكذا نوع التعليم الذي تقدمه يختلف عن تنظيم مؤسسات التعليم العالي في فرنسا ، وذلك ما يجعلها فاقدة للمواصفات المادية والمعنوية التي تتمتع بها مؤسسات التعليم العالي ، فهي بادرة أولى لفكرة الجهوية الجامعية التي بدا حينذاك الحديث عنها في فرنسا ، التي تعنى انشاء تعليم عال جهوي محلي يستجيب للحاجيات الملحة يطبق العلوم مع البيئة المحلية ، ويستجيب لخصوصياتها بما فيها اشراكه عناصر محليا تستفيد من هذا التعليم .

الفروق المشار إليها سلفا، يعبر عنها بوضوح قانون 20 ديسمبر 1879م في مواد التسعة

فالمادة الأولى منه جاء فيها: ² ينشأ في الجزائر - إلى جانب مدرسة الطب والصيدلة الموجودة - مدرسة تحضيرية لدراسة الحقوق، ومدرسة تحضيرية للدراسة العلوم، مدرسة تحضيرية لدراسة الآداب.

أما المادة الثانية: فإنها تتعلق ببرامج التدريس والمواد المقررة جاء فيها.

الدراسة في المدرسة التحضيرية للحقوق تتضمن المواد المقررة لنيل البكالوريا مع إضافة دروس في القانون التجاري والقانون الإداري والنظم الاهلية، وفي مدرسة العلوم تتضمن ، الرياضيات ، الفيزياء والعلوم وتطبيقاتهم على الزراعة والصناعة والاحصاء والحاجات الخاصة للجزائر .

¹ Luis Paoli : l'enseignement supérieur a Alger 1905 op cit p417.

² Mélia : op cit p39

وفي مدرسة الآداب تتضمن الآداب الفرنسية وآداب البلدان المتوسطية والآداب الكلاسيكية ، اللغة العربية ، اللهجات الجزائرية ، التأريخ وخاصة تاريخ فرنسا والجزائر ، الجغرافيا والأثار .

والمادة الثالثة: فقد جاءت لتحدد الصفة القانونية للمدرسة التحضيرية للطب نصها:

"المدرسة التحضيرية للطب والصيدلة تختص بنفس الدور للمدارس لتحضيرية الفرنسية".

وفي المادة الرابعة : تحدد نوع الدرجات العلمية التي يمكن للمدارس منحها فهي لا تمنح شهادة اللسانس في تخصصاتها بل اهليات وفي أحسن الأحوال البكالوريا منها منح مدرسة الحقوق البكالوريا في الحقوق ، والشهادة الأهلية في الحقوق وشهادة خاصة في الحقوق الإدارية والنظم الاهلية . كما تمنح مدرسة الآداب والعلوم أهليات خاصة .

أما المادة الخامسة: فتضمنت شروط تتعلق بهيئة التدريس ، فأستاذة المدرسة يشترط فيهم حيازة الدكتوراه من الدرجة الأولى ، وكذلك الحقوق ، أما بالنسبة للعلوم فيسمح لحاملي اللسانس في العلوم أو الدكتوراه في الطب بالتدريس فيها . كما يسمح لضباط الجيش بالتدريس من مهندسين وكذلك إطارات الاقتصاد وأساتذة الثانويات¹.

أما باقي المواد من (6 إلى 9) فإنها تحدد الجوانب المادية المتعلقة بهذه المدرسة وتنظيمها الإداري وهيكلها ومقرها.

وبالنسبة لمقر هذه المدارس فقد تم الانتظار إلى غاية ديسمبر 1887 م بنهاية الاشغال على العمارات الرئيسية التي بنت على رأس اسلي بجوار البريد المركزي بغلاف مالي قدره 2.5 مليون فرنك ، لإنجاز العمارات الكبيرة علي مساحة 2920 م ، والمخابر 1730 م ، والتوصيلات الملحقة 700 متر وبذلك فتحت أبوابها للتدريس في هذه المقرات الجديدة موسم 1888 م ، بعد عناء طويل من اتنقل بين مقرات غير ملائمة².

ومع مرور الوقت برزت مشاكل أخرى متعلقة بطبعة نشاط هذه المدارس ، فهي لا تمتلك القدرة على منح الشهادات النهائية ، ويضطر الطلاب إلى إتمام دراستهم في فرنسا

¹ Paoli : op cit p414

² Taillart : op cit p 365

وإجراء الامتحانات النهائية هناك للحصول على الشهادات الجامعية وقد اعتبر الكثير من الكلون أن هذه العملية مكلفة ماديا ومتعبة بالنسبة للطلاب وعائلاتهم. لذلك بدأ التفكير برفعها إلى مدارس كاملة الصلاحيات بتزويدها بنفس الحقوق التي تتمتع بها المدارس العليا في المتروبول التي تملك الشخصية المعنوية والاستقلال المالي والإداري، ويمكنها منح تختلف الدرجات العلمية، وتخليصها من وصاية الجامعات الفرنسية.

ولأن مدرسة الطب هي الأقدم تأسيساً والأحسن تنظيمياً، فقط رفعت إلى مدرسة كاملة الصلاحيات وفقا قانون 31 جويلية 1889 م، وأضاف لها قانون 01 نوفمبر 1889 م ثمانية مقاعد جديدة وتم وفقه تنصيب المستشفى المدني بمصطفى مستشفاً جامعياً. وأصبح بإمكانها تخرج الأطباء والصيدالة دون الرجوع للمتروبول.¹

أما مدرسة الحقوق فقد أصبح بإمكانها منح شهادة اللسانس في الحقوق وفق قانون 09 أكتوبر 1892 م، إضافة إلى مجموعة من الأهليات في الحقوق الإسلامية والشؤون الأهلية فيما ظل التفريق قائما بين الاحوال الشخصية الاسلامية والتشريع الفرنسي في الجزائر.

أما مدرسة العلوم فقد ظلت غير مؤهلة لتقديم اللسانس ووفقا للقرار الوزاري المؤرخ في 31 ديسمبر 1893 م، أصبح بإمكانها منح دبلومات PCB² وهي شهادة نظرية إضافة الى شهادات تطبيقية في العلوم الفلاحية والصناعات الغذائية الجزائرية (الزيت، الخمر) وكل ذلك استجابة لرغبة الكولون في أن يكون التعليم العالي خاص وتطبيقي خاص بالطبعة الجزائرية وتطقي على مكوناتها وقد ظل اهتمامها منصبا على الزراعة من خلال مصالح الاستعلام الفلاحي المنشأة فيها.

أما مدرسة الآداب التي ظلت تسير بخطى متباطئة وتهتم أكثر بالمسائل المتعلقة باللغة والآداب الشرقية، بل أضحت مركزا للاستشراق والتاريخ القديم لإفريقيا وكذلك التاريخ والفلسفة الإسلامية، ووفق القرار الوزاري المؤرخ في 22 جويلية 1894 م، أصبح بإمكانها تحضير اللسانس بالإضافة إلى مجموعة من الاهليات في اللغة العربية ولهجاتها وكذلك

¹ BCB هي شهادة (أهلية) للدراسات التطبيقية (الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا)

² Paoli ; op cit p428.

الأمازيغية وبإمكانها -ايضا - منح دبلوم الدراسات التاريخية إذ زودت بمقعد خاص بالتاريخ والحضارة الاسلامية في الموسم (1908-1906).¹
المرحلة الثانية: التعليم العالي الجامعي(1909-1962):

تعرضت المدارس التحضيرية العليا في الجزائر الى انتقادات كثيرة ، خاصة بعد الاستقلال المالي للجزائر سنة 1900 م ، فقد انتقد عملها وتنظيمها ومستقبلها ايضا؛ فهي لا تستجيب بهذا الشكل إلى طموحات الكلون ، خاصة في مسألة تمويلها المحلي وخضوعها للجامعات الفرنسية وبالتالي نوعية تعليمها وشهاداتها وإطارها القانوني وبلغت أزمة هذه المدارس اوجها بين 1900 و1903 م .

وإذا كان لمستقبل هذه المدارس معارضين فإن لها أنصارا أيضا. مثل عميدا أكاديمية باريس واكاديمية الجزائر والحاكم العام شارل جونار(1857-1927) فهذا الصراع حول مستقبل المدارس هو صراع بين أنصار الجزائر وأنصار الفرنسية أي بين المعمرين وأنصار السلطة المركزية المتمسكين بإبداء فرنسية الجزائر وبالتالي ارتباط كل مؤسساتها بالطابع الفرنسي العام.²

أما الرأي العام المتمثل في الأهالي الجزائريين ،والفرنسيين في باريسفلم يكن له تأثير على ما يجري لعدم أيمان الفرنسيين بوجود تعليم عال في الضفة الاخرى ،ورضوخ الاهالي تحت جحيم قانون الأهالي، فالاحصائيات تشير انه إلى غاية سنة 1910لم يكن في الثانويات الفرنسية سوى 180 جزائري منهم 29 حصلوا على البكالوريا فقط .

ولعل سبب الكلام الكثير من ممثلي المعمرين والمشكلة الحقيقية لعمل هذا المدارس تكمن في تمويل المدارس والذي تتولاه المندوبات المالية وقد عبر المندوبون الماليون عن استهلاكها لأموال كبيرة ،مقابل مردود ضعيف لذلك وجب غلقها أو تحويلها إلى مدارس مهنية تكون اليد العاملة الزراعية والصناعية.³

ومن جهة اخرى ، بدأت فكرة إنشاء جامعات محلية وجهوية ممكنة في باريس لذلك بدأت تظهر بعض الآراء في هذا الاتجاه في الجزائر ،سواء في المندوبات المالية سنة 1905

¹ غي بارفي: النخبة الجزائرية الفرنكوفونية (1880-1902) ترجمة محمد حاج مسعود، الجزائر ، دار القصة ، 2007، ص47.

² أنقر حول آراء غزال مقالاته في : les Nouvelles n°5,6,7.Novembre 1903.

³¹ Paoli .op cit p43

أو في أكاديمية الجزائر أو لدى الحاكم العام جوناو أو بعض الجامعيين والباحثين أمثال ستفان غزال أو شربونو عميد مدرسة الحقوق فقد تم التطرق لهذا الموضوع في جلسات المندوبات المالية سنة 1905.¹

كانت الأنظار متوجهة إلى مؤتمر جمعية العلماء "المستشرقين" المعقد في الجزائر سنة 1905 لمعرفة رأي وزير العلم الفرنسي بيانفوني مارتن الذي شكل لجنة من أعضاء الجمعية لدراسة مستقبل المدارس في الجزائر وإمكانية تحويلها لجامعة وقد راسل أيضا الحاكم العام يوم 27 جويلية 1905 شارل جوناو لمعرفة رايه حول فكرة تجميع المدارس في جامعة فوجده من المتحمسين والمدافعين عن فكرة الجامعة.

وانتهت جهود الشخصيات العلمية والسياسية إلى وضع الحكومة لمشروع اتحاد المدارس التحضيرية العليا في جامعة يوم 11 ماي 1409، وقد جاء في عرض أسباب المشروع أن التعليم العالي في الجزائر يحتاج الى تنظيم قوي ومرن يرتبط بأهداف المستعمرة² والتي عبر عنا مقرر اللجنة البرلمانية النائب شيالي عند وضعه لتقرير حول مشروع الجامعة يوم 24 جوان 1909م أن احتياجات الجزائر من المشروع تتلخص في تزويد المعمرين بالمعارف اللازمة لتطوير مشاريعهم والتكوين الضروري لمزاولة مهنتهم، والأهم من ذلك هو معرفة أهمية المشروع في تطوير فرنسية الجزائر ومنه تم المصادقة على مشروع الجامعة في الغرفة البرلمانية يوم 05 جويلية 1909م³ وقد حاولت اللجنة تجاوز بعض العراقيل القانونية والتنظيمية التي تعيق المدارس للتتحول الى جامعة بالقول أن المدارس العليا في الجزائر تأخذ لقب كليات وتشكل جامعة.

لقد تم التصويت على المشروع في الغرفة البرلمانية يوم 05 جويلية 1909 ورفع المشروع الى مجلس السينا الذي صادق عليه يوم 30 ديسمبر 1901م، وهو القانون المنشأ لجامعة الجزائر، وهي الثانية في كل المستعمرات الفرنسية بعد جامعة هانوي المنشأة سنة 1907.⁴

-قانون 30 ديسمبر 1909 (مميزات التعليم العالي الفرنسي في الجزائر)

¹ Mélia. op cit p98.

² Ibid p97

³ النصوص الأصلية للمواد قانون 30 ديسمبر 1909 بالفرنسية

⁴ Universite d'Alger ; op cit p43

تضمن هذا القانون الخصائص التنظيمية لجامعة الجزائر وكل ما يميزها عن الجامعات الفرنسية ، وكذلك الفروق الجوهرية بينها ، ولعل ذلك ما جسده بعض المواد من هذا القانون:

فالمادة الأولى منه تعبر عن رفع المدارس التحضيرية الى جامعة وتحويل مجلسها العام إلى مجلس للجامعة .

نصها "المدارس العليا تأخذ اسم الكليات وتتأسس جامعة ، والمجلس العام للمدارس يتأسس مجلس للجامعة ، وهو المجلس الأكاديمي المخول لمعالجة المسائل التنظيمية والانضباطية المتعلقة بالتعليم العالي العام".

وعليه فإن جامعة الجزائر المنشأة تتكون من أربع كليات هي الكلية المختلطة للطب والصيدلة وكلية الآداب وكلية العلوم ، وكلية الحقوق ، أما المواد الأخرى فقد حددت بعض الخصائص أهمها :

1-طريقة التمويل والميزانية :وهي تختلف عن الجامعات الفرنسية فالمادة الثانية من قانون 30 ديسمبر 1909 م تجعل كليات جامعة الجزائر لا تمتلك الصفة المدنية ولا الاستقلال المالي ولا تمتلك ميزانية خاصة ، ولكن جامعة الجزائر هي التي تمتلك الشخصية المدنية وهي المزودة بميزانية وعميد الجامعة هو أمر ثانوي بالصرف بقرار من الحاكم العام .

2-تبعية مجلس الجامعة للحاكم العام والمندوبات المالية : فهو تابع للإدارة الاستعمارية وتحت تصرفها؛ فقد جاء المرسوم المنظم لمجلس جامعة الجزائر (مرسوم 22 فيفري 1910) مخالفا لمراسيم المنظمة لمجالس الجامعات الفرنسية (مرسوم 21 يوليو 1897)¹ ، فهو يجعل جوانبها السياسية تحت مراقبة الحاكم العام وكذلك تمويلها والجوانب المالية تحت مراقبة المندوبات المالية فمجلس الجامعة في تركيبة اعضائه مخالف ايضا لتنظيم المجالس الجامعية في الجامعات الفرنسية ؛ فهو يظم رئيس الجامعة ، ولكنه يترك مكانة للحاكم العام في حالة حضوره الاجتماعات وهذا ما كان يتكرر كثيرا في عهد بيار بورد² وعميد الأكاديمية ويضم عمداء الكليات ومدير المرصد

¹ Mélia; op cit p106

² Taillart ; opcit o369

الفلكي ومندوبين عن كل كلية منتخبين لمدة ثلاثة سنوات وثلاثة من أعضاء المندوبات المالية معينين من طرفها.

وقد اعتبر القانون الحاكم العام عضوا في المجلس له صفة رئاسة المجلس ويملك حق التقرير النهائي، ويمكن أن يعوضه عضو من المجلس الأعلى للحكومة يتمتع بنفس الصلاحيات وهي صلاحيات استثنائية كبيرة تتمثل في حق التقرير النهائي وبالتالي الغاء اي قرار لا يتماشى واهداف الادارة الاستعمارية.

اما باقي عناصر التنظيم العام ، فقد كانت موافقة للجامعات الفرنسية، بما فيها تلك المتعلقة بالتنظيم العام و الرتب و الترقيات أما مضمون التعليم فإنه يتميز ببعض الخصائص التي لا تتوفر إلا في التعليم العالي في الجزائر، و قد تطورت الكليات فاستحدثت عدد كبير من المعاهد المتخصصة، فاق عددها (16 معهد متخصص) اهمها معهد الدراسات الصحراوية .والمعهد العالي للدراسات الاسلامية ، ومعهد الجغرافيا ومعهد الطب لما وراء البحار الذي كان يسي معهد الطب الكولونيالي .

II- خصائص التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1849-1962):

تتميز التعليم الفرنسي في الجزائر بعدة خصائص ميزته عن التعليم الفرنسي بعضها متعلق بالاستعما وبعضها الاخر متعلق بمميزات البيئة الشمال افريقية كفضاء واسع لتطبيق العلوم اهمها:

- الطابع الاستعماري للتعليم العالي : وذلك يوضح احتياجات الاستعمار ومتطلباته في الدرجة الأولى من أوليات التعليم العالي و لعل ذلك ما عبر عنه النائب شيالي مقرر اللجنة البرلمانية المكلفة بدراسة مشروع الجامعة حيث ركز على أهم النقاط التي يهدف إليها مشروع الجامعة وحسبه تلخص في ثلاثة نقاط أساسية:¹

أ. أن تقدم للمعمرين المعارف التقنية اللازمة لاستغلال في حياتهم اليومية وفي ممارستهم الاقتصادية.

ب. تزويد جزء من السكان المتوجهة إما الى الأعمال الحرة او إلى الإدارة بالتكوين الضروري واللازم لمزاولة مهنتهم وجزء السكان المقصود هنا هم المعمرين و أبناء الأعيان الموالين لفرنسا.

¹ Mélia; op cit. p97

ت. الرهان علي التعليم العالي في تطوير فرنسية الجزائر على حساب جزائريتها، وكذلك المساهمة في ثراء وتوسع المستعمرة و المعلوم أن هذا التوسع و الثراء يكون على حساب الأهالي الجزائريين و فقا للسياسة الاستعمارية في مختلف مجالاتها .

-التوجه المحلي لتطبيق العلوم علي البيئة الشمال- إفريقية:

بفضل تقدم التعليم العالي و انتقاله من المرحلة التحضيرية إلى المرحلة الجامعية التي تحتوي على المقاعد الأساسية للتعليم العام،¹ و الضرورية لتحضير الشهادات و اضافة إلى هذا التعليم العالي العام المتوافق مع ذلك في المتروبول ، يوجد تعليم عال خاص بجامعة الجزائر يميزها عن الجامعات الفرنسية الأخرى ، وذلك لتستجيب للاحتياجات الخاصة للمستعمرة أو لأهمية تجاه السياسة الاستعمارية. ويظهر ذلك في كون كلية الحقوق قد استحدثت تعليما عاليا للتشريع الجزائري ،التونسي والمغربي وتعليما عاليا للحقوق الاسلامية والقوانين الأهلية. يضم الأول :التنظيم السياسي والإداري ،التنظيم القضائي، الاستعمار، مشكلة السياسة الأهلية ،وكل ما يتعلق ببناء منظومة تشريعية خاصة تربط الأهالي الجزائريين بالإدارة الاستعمارية.²

أما الثاني فقد ضم الأحوال الشخصية، الزواج، نظام الأملاك ،تصنيف الأراضي والقوانين المتعلقة بملكية الأرض (ال شراء ،البيع ،الجمعيات الدينية ، الهبات بين الأقارب ،العقود ،القوانين الخاصة بالجزائر).

وهذا التعليم يتوج بشهادات خاصة الأولى أهلية تسمى: اهلية دراسة التشريع الجزائري والحقوق الاسلامية والأعراف الأهلية والتي لا يشترط البكالوريا للالتحاق بالجامعة لتحضيرها أما الثانية فتسمى: الشهادة العليا لدراسات التشريع الجزائري الحقوق الاسلامية والأعراف الأهلة والتي يتم الحصول عليها بعد الليسانس في الحقوق أو شهادة دراسة التشريع الجزائري وقد حصل بين (1880-1930) 1624 طالب على الشهادة الأولى ،و104 على شهادة الدراسات العليا بينما الأحوال الشخصية الاسلامية للأهالي ،فقد كانت تدرس أيضا في المدارس الثلاث قبل أن يتحول القسم العالي إلى معهد للدراسات الاسلامية العليا سنة 1947م.

¹ تحتوي خمسينية جامعة الجزائر على جزد لتطوير مقاعد التدريس في ملحق التخصصات العلوم

والآداب والحقوق والطب

² حول هذا المدارس أنقر :أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1945).ج3

ولتلبية الاحتياجات الخاصة بالإدارة الاستعمارية تمنح كلية الحقوق شهادات لكل الحاصل على شهادة لسانس أداب تسمي شهادة الدراسات الادارية الجزائرية التي تمنح 10 نقاط اضافية للمترشحين لمنصب اداري مساعد في البلديات المختلطة وكذلك الشهادة العليا للدراسات الادارية الجزائرية التي تمنح 15 نقطة اضافة لمنصب ريداكتور في الادارة المركزية للحاكم العام ،وقد تم استحداث معهد تطبيقي للحقوق وفق القرار الوزاري 12 أوت 1927م ، يكون لمدة سنتين الموثقين والمحضرين القضائيين وكذلك المحامين (الوكلاء).

اما تعليم الطب؛ فقد اهتم أكثر بالأمراض المنتشرة في شمال افريقيا ، وخاصة الملاريا وكذلك الأمراض المتنقلة في المناطق الساخنة ، ونمط التعليم تحدده الدوائر المحلية ... (الأجناس ، العادات ، المناخ الخ) ولقد أنشأت كلية الطب معاهد متخصصة مثل معهد النظافة والطب لما وراء البحار 1947. كبديل لمعهد الطب الكولونيالي الناشط منذ 1913م ، الذي يحضر ويمنح دبلومين متخصصين في الطب والنظافة لما وراء البحار هما : طبيب كولونيا لي لجامعة الجزائر ، وطبيب النظافة لجامعة الجزائر.¹

ويرتبط عمل كلية الطب والصيدلة بالتنسيق مع معهد باستور الجزائر للقضاء على الامراض المتنقلة خاصة الملاريا وكذلك على الأوبئة التي تصيب المزروعات والحيوانات في كل الشمال الإفريقي .

أما كلية العلوم وإذا كانت لا تحتوي على تعليم خاص بالجزائر فإن تعليم الزولوجيا وعلم النبات والجيولوجيا ، وعلم المعادن كانت تتجه نحو التطبيق على البيئة في شمال افريقيا ؛ بإيجاد تطبيقات لهذه العلوم علي الحيوان والنبات وباطن الأرض ، وعليه فإن مقتنيات المخابر والعينات الجيولوجية والمعدنية المجمعة في العهد الفرنسي وغيرها تشكل رصد هاماً من الوثائق الهامة في هذه التخصصات الي اليوم ، اما مخابر هذه الكلية وخاصة مخبر الكيمياء التطبيقية فقد ظل على علاقة موع مصالح الفلاحة والحكومة العامة وقد كان لعلماء وأساتذة الكلية الدور المطلوب الموكل الي الجامعة في التفكير في

¹ De Lacroix ; rapport 1959 in université d'Alger cinq ;p195

انشاء المؤسسات اللازمة فساهموا في انشاء مؤسسات للتعليم العالي الزراعي والصناعي خارج الجامعة¹.

ويرتبط بكلية العلوم المرصد الفلكي، ومصالح الأرصاد الجوية فقد تمكن المرصد الفلكي من رصد مواقع 40.000 نجم في المنطقة الواقعة بين 18-23 شمالا واشرك في مشروع الخريطة السماوية التي تهدف إلى تصوير السماء بإنجاز جزء من 7 درجات، واشترك في عملية ضبط، المقاييس الفلكية الدولية سنة 1926 وتمكن علماءه من اكتشاف كوكب Eros 333، الذي اقترب من الأرض سنة 1900م، وتقدم مصالح الأرصاد معلومات خاصة للملاحة البحرية والجوية والمزارعين عن طريق الصحف ومحطة الراديو².

أما كلية الآداب فإنها تهتم بمختلف العلوم الانسانية والاجتماعية، وتحتوي على مقاعد فريدة من نوعها في كل الجامعات الفرنسية، تتعلق بالإنثولوجيا وعلم الآثار ما قبل التاريخ الخاص بشمال افريقيا و التاريخ القديم لإفريقيا وتاريخ العرب والحضارة الاسلامية، الآثار الاسلامية، التاريخ الحديث لإفريقيا، وجغرافية افريقيا، وكل هذه التخصصات فريدة من نوعها، برز فيها كل من. ستيفان غزال، هنري ماسي، وروني باسيه، وغوتيه وغيرهم، وبفضل التوجه نحو علوم الشرق تحولت كلية الآداب الى مركز للدراسات الشرقية والاستشرافية وذلك أنها تدرس اللغة العربية و الآداب العربية، الفلسفة الاسلامية واللغة والحضارة الأمازيغية، رغم افراغ اللغة العربية من محتواها واعتبارها لغة أجنبية، ونشرت اعمال لهؤلاء في المحلة الافريقية ومحلة لبيكا وقد بد هؤلاء الباحثين متأثرين بالظاهرة الاستعمارية، فكتاباتهم تغلب عليها محاولة شرعنة الاستعمار و محاولة تأسيس اثبات الماضي اللاتيني لشمال افريقيا وتغيب المرحلة الاسلامية³.

التعليم العالي اداة فعالة للفرنسة:

¹Camille Résler ; la politique culturelle du la France en Algerie les obje.ctifs et les limites (1830-1962) p61.

² Taillord .opat p376

³ ساهم عميد كلية العلوم السيد بورمال في إنشاء المدارس التطبيقية الفلاحية والمدرسة العليا للفلاحة بالحراش .

إن تأسيس الاستعمار الفرنسي لمنظومة التعليم العالي على الأرض الجزائرية وفق الأسلوب الفرنسي القائم على اعتماد الفرنسية في تعليم ونشر العلوم، تعتبر بشكل غير مباشر اعتداء على لغة وهوية البلاد المنشأ فيها وكان هذا العمل يهدف الى جعل الجامعة ومعاهدها اداة ايديولوجية فعالة تستهدف الفرنسية التدرجية لمختلف مناحي الحياة الجزائرية والتي كان لها مؤثرات تمتد الى اليوم، والفرنسية لا تعني فقط استخدام اللغة الفرنسية على نطاق واسع وانما احلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الاسلامية، وكذلك الأمازيغية وبمرور الزمن يفقد الفرد الجزائري مقومات هويته، و يندمج تدريجيا في مفهوم الواسع للثقافة الفرنسية. في العمران وانماط التخاطب، وطرق الحياة والأزياء وغيرها .

كان محيط مؤسسات التعليم العالي الفرنسي في الجزائر فرنسيا بحثا لغرفة اللغة العربية والثقافة المحلية فيه قلة الجزائريين المنتمين اليه، ولقد كانت الفرنسية غاية سياسية بامتياز تجسدت في محيط هذه المؤسسات التي أوجدت لتلعب دور الأداة الايديولوجية الأكثر فعالية في سياسة الفرنسية¹.

الاستقطاب الضعيف للمسلمين الجزائريين:

ظلت نسبة المسلمين في التعليم العالي الفرنسي في الجزائر قليلة جدا إذا ما قورنت بأعداد الأوروبيين، فنسبتهم ظلت في حدود الواحد الى من عشرة من مجموع الطلاب ولم يتجاوز عددهم 600 في جامعة الجزائر سنة 1962م، وذلك ان نظام التعليم المتبع وسياسة الإدارة الاستعمارية لا تسمح بتجاوز نسبة معينة لا يتعدى 10% من مجموع الطلاب في وقت كان فيه تعداد السكان الأهالي يفوق بـ 10 أضعاف السكان الاوروبيين والمعمرين .

و الحاصلين على البكالوريا من الجزائريين علي قلتهم كانوا يختارون الجامعات الفرنسية في المتروبول على حساب جامعة الجزائر، التي لا تتوفر فيها أجواء الحرية؛ ويبدو محيطها اكثر عنصرية وتمييزا من ذلك الموجود في فرنسا، وإذا كانت هذه الفئة قليلة جدا فإن تركزها كان في التخصصات التي توفر مهن حرة مستقبلية لاستحالة الحصول على الوظائف السيادية في الادارة الاستعمارية وحتى علي الوظائف المتوسطة، ورغم ذلك وتحت تأثير المحيط الإستعماري و الثقافي المكثف ارتبط نشاطهم غالبا

¹ Camille rister opar p59.

بالتيار الاندماجي وتأخر التحاقهم بصفوف الوطنية الجزائرية إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. حسب دراسة الباحث غي بارفي¹ ويظهر من ذلك ان التعليم العالي الفرنسي لم ينشأ لتكوين المسلمين وادخالهم في الفكرة الواسعة للحضارة الغربية الفرنسية التي تغني بها الاستعمار ، وإنما يهدف الي تكوين فيه تكون الواسطة بين الإدارة الاستعمارية والأهالي الجزائريين ولتجنب فكرة الإقصاء التام والتي قد تتولد عنها ردود فعل مهددة لمستقبل المستعمرة .

خاتمة :

يمكن القول في الأخير أن التعليم العالي الفرنسي في الجزائر طيلة فترة نشاطه مر بمرحلتين: مرحلة تحضيرية قبل إنشاء الجامعة الجزائرية سنة 1909م ، ثم مرحلة الجامعة ، تفسرها نظرة الاستعمار نفسه الي مستقبل المستعمرة وأن هذا التعليم العالي ظل مرتبطا بأهداف الإدارة الاستعمارية وفي خدمة احتياجاتها وسياساتها ويتجلى ذلك في الخصوصية التنظيمية لتلك المؤسسات والتي تمنح للسلطة السياسية الممتثلة في الحاكم العام الحق في التدخل في توجيه أعمالها ، بشكل يخدم مصالح المستعمرة ، كما أن طريقة تمويلها ظلت تحت سلطة الكولون من خلال ممثلي المندوبات المالية والذين لا يدخرون جهدا في توجيه التمويل نحو المشاريع العلمية التي ترتبط بأهدافهم وطموحاتهم ونظرتهم إلى المستعمرة .

ومن جهة أخرى وبالنظر إلى طبيعة العلوم التي يقدمها فقد اكتشف واحتكر التعليم العالي الفرنسي في الجزائر بيئة جديدة اجتهد في خلق التخصصات ومجالات البحث التي تؤدي إلى تطويعها وذلك بإيجاد حلول للمشاكل القانونية والتقنية ومشكلة الأمراض الخاصة بهذه البيئة والتي ظلت تهدد مستقبل المعمرين ومستقبل المستعمرة نفسها كما حاول بعض الباحثين إيجاد تطبيقات للعلوم المعاصرة على البيئة الجزائرية بدراسة الأرض وثرواتها ، المناخ ، والإنسان وفق الخط الذي رسم لها منذ البداية وهو دراسة البيئة المنشأة فيها وخدمة أهداف المستعمرة وتلبية حاجيتها ومنذ ثمة خدمة شراء وتوسيع المستعمرة بشكل عام وقد عملت مؤسسات التعليم العالي علي ايجاد حلول

¹ انظر غي بارفي:النخبة الجزائرية الفرنفونية ؛ المرجع السابق ص289

علمية لمشاكل الزراعة وتقنياتها وتطوير منتجاتها والصناعات المرتبطة بها خاصة صناعة الخمور والزيت وتجفيف الفواكه.

فالتعليم العالي الفرنسي في الجزائر وإن لم يتميز في جوانبه العامة التنظيمية والإدارية عن ذلك الموجود في فرنسا فقد استجاب لخصوصية الطاهرة الاستعمارية وخصوصية البيئة المنشأ فيها وباستحداث شهادات خاصة، وتخصصات فريدة من نوعها تميزه. عن التعليم العالي في فرنسا مثل تدرس القانون الأهالي وفق الإجهاد الاستعماري وعلم ما قبل التاريخ لشمال افريقيا وطب المناطق الساخنة وقد عمل الباحثون النشطون في الجزائر على إيجاد السبل الضرورية لتطبيق العلوم وتطوراتها على هذه البيئة العذراء كدراسة الجيولوجيا، وعلم المناجم، وعلم النبات والحيوان، والمناخ والأبحاث الصحراوية من اجل ثراء فرنسا باستغلال ما يمكن منها. وهي مميزات جعلت جامعة الجزائر وكلياتها في مرتبة عالية بين الجامعات الفرنسية، فخصوصية التعليم العالي الفرنسي في الجزائر تكمن في طريقة إدارته وتمويله، بينما يكون تميزه في تلك التخصصات التي انفرد بها والتي تعني بالبيئة التي انشأ فيها في مختلف مجالات المعرفة والعلوم .